مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

السَّل رؤية أبقراطية

د. حنان السيد يوسف
مدرس بقسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

أبحاث

السُّل رؤية أبقراطية

د. حنان السيد يوسف
مدرس بقسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

السُّل أو الدرن مرض مُعدٍ جرثومي، تسببه عصية الدرن، أو عصية كوخ، ويؤدى إلى تخريب رئة المريض، أو أعضاء أخرى من جسمه، وهو من أقدم الأمراض التى مُنيت بها البشرية؛ إذ يرجع تاريخه إلى تاريخ الإنسان نفسه على هذا الكوكب. وهذا المرض من الأمراض الوبائية التى تصيب الرئة بصورة مزمنة مع أعضاء أخرى من الجسم، وهو ينتشر بسرعة من بيئة لأخرى، دونما تقيد بحواجز جغرافية؛ إذ أصبح من أهم الأمراض التى توليها منظمة الصحة العالمية عناية قصوى، وتضع نصب عينيها القضاء عليه، وتعد لذلك برامج حثيثة، وخطة منهجية حتى عام ٢٠١٥م الذى تطمح إلى أن تجعله عاماً خاصاً للتوعية بهذا المرض(١).

وقد دلت الحفريات على وجود السُّل فى مصر القديمة، ابتداءً من عصر ما قبل الأسرات، حتى الأسرة الحادية والعشرين، وعُثر على مومياوات بها آثار إصابة بالمرض. إلا أن البرديات الطبية القديمة لا تشير بشكل مباشر إلى هذا المرض، ولا وجود للبكتريا المسببة له فى المومياوات وهذا أمر غريب يستحق مزيداً من النظر، والبحث فى أسبابه ودواعيه(٢).

ويهدف هذا البحث إلى تحليل للنظرة الأبقراطية لمرض السُّل: أشكاله، والأوصاف والتشخيصات الإكلينيكة له، والعلاج.

وعلى هذا يمكن تقسيم البحث إلى:

أولاً: التعريف الأبقراطى للسل.

ثانياً: أشكال السُّل كما عرفها الأبقراطيون:

أ- السُّل الرئوى "πλεύμονος φθίσις" :

I أسبابه.

II أعراضه.

III الوصف الأبقراطى لباثولوجيا السُّل الرئوى.

IV العلاج.

ب- سُل العمود الفقرى " Νωτιὰς φθίσις":

I أعراضه.

II العلاج.

ثالثاً: المصطلحات العلمية الخاصة بالسُّل بين القاموس الأبقراطى والقاموس المعاصر.

---

(١) Stop TB. (WHO). Retrieved on 3 October 2006 Partnership.

(٢) John F. Nunn, Ancient Egyptian Medicine, British Museum Press, 1996, pp.37-38.

أولاً: التعريف الأبقراطى للسُل: "φθίσις ":

رأى الأطباء الأبقراطيون فى السُل أسوأ الأمراض التى يمكن أن تصيب الإنسان، والمرض الوحيد المسئول عن ارتفاع معدلات الوفاة ارتفاعاً جلياً[١]؛ لذا كان أكثر الأمراض إزعاجاً لاسيما فى الشتاء حين تظهر معظم حالاته[٢] وعند الأشخاص الذين أعمارهم بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين على وجه الخصوص[٣].

ثانياً: أشكال السُل كما عرفها الأبقراطيون:

أ- السُل الرئوى "πλεύμονος φθίσις" :

I أسبابه:

توصل الأبقراطيون إلى أن الالتهاب البلورى - وما ينتج عنه من صديد - إذا لم يُعالج سريعاً، فإن الأمر يُفضى إلى سل رئوى.

وهذا يتمشى مع النظرية الطبية الحديثة، التى فحواها أن من أهم الإشارات الدالة لدى الأطباء على وجود بؤرة درنية فى رئة المريض، وجود التهاب بلورى.

ويقول الأبقراطيون فى هذا الصدد:

"عندما يتبع الصديد البلورى الالتهاب البلورى، فإن الرئة يجب أن تُطهر فى غضون أربعين يوماً، اعتباراً من تاريخ اندفاع القيح (الصديد)، وينتهى بذلك المرض، وإلاّ فإنه يتحول إلى سل"[٤].

ومن دراسة المجموعة الأبقراطية نستطيع أن نتوصل إلى أن الأبقراطيين استطاعوا التوصل إلى أنواع عدة، ودرجات من الالتهاب البلورى على النحو الآتى:

- التهاب بلورى جاف:

---

(١) Hippocrates, Epidemics I, II.

"..... μουνουν γὰρ καὶ μέγιστον των γενομένων νοσημάτων τοὺς πολλοὺς τὸ φθινωδες ἐκτεινεν ".

(٢) Hippocrates, Epidemics III, XIII.

" πολλοὶ γάρ τινες ἀρξάμενοι κατὰ χειμωνα ".

(٣) Hippocrates, Aphorisms, V. IX.

" Φθίσιες γίνονται μάλιστα ηλικίησι τησιν ἀπὸ ὀκτωκαίδεκα ἐτέων μέχρι τριήκοντα πέντε".

(٤) Hippocrates, Aphorisms, V. XV.

" οκόσοι ἐκ πλευρίτιδος ἐμπυοι γινονται , ην ἀνακαθαρθωσιν ἐν τεσσαράκοντα ημέρησιν , ἀφ' ης ἀν η ρηξις γένηται , παυονται . ήν δὲ μή , ἐς φθίσιν μεθίστανται ".

وهو عند الأبقراطيين على ثلاث درجات مختلفة، حددوها طبقاً لما بدا على مرضاهم من أعراض، ومن ثَمّ حددوا العلاج لكل درجة.

- التهاب بلورى مانى:
  (ارتشاح رئوى)
- التهاب بلورى صديدى:

وسنعرض كلاً منهم من وجهة النظر الأبقراطية، وكيف تعامل معها الأبقراطيون.

- الالتهاب البلورى الجاف:

حدد الأبقراطيون أول درجة من درجات الالتهاب البلورى الجاف، ووصفوا أعراضها على النحو الآتى:

يعانى المريض من حمى ورعشة، كما يشعر بألم بطول العمود الفقرى والصدر، ويعانى من صعوبة التنفس وسعال. ويكون البصاق أبيض ضارباً للصفرة. وليس من السهل بصقه ويتبول المريض بولاً مدمماً. وإذا كانت الحال كذلك وانخفضت حرارة الحمى فى اليوم السابع، فإن المريض يتعافى، وإلاّ فإن المرض يستمر حتى اليوم الحادى عشر أو الرابع عشر. ويموت كثير من المرضى فى هذه الأثناء، فإذا ما استمر المريض على قيد الحياة بعد اليوم الرابع عشر فإنه ينجو من الموت.

وينصح الأطباء الأبقراطيون عند وجود آلام على هذه الشاكلة أن يقوم الطبيب بعمل كمادات، ويسقى المريض عسلاً يجهزه بالصورة الآتية: يغلى العسل، وتُضاف إليه كمية مساوية من الخل، وأياً كانت كمية العسل والخل المغليين، يضاف إليهما تسعة عشر مقداراً من الماء، وعلى المريض أن يشرب ذلك الخليط مرات عدة، بشرط أن تكون الكمية قليلة فى كل مرة. على المريض أيضاً أن يتناول عصيدة حبوب الدُخن الباردة مع تقطير قليل من العسل فيها، بمقدار ربع كأس بعد كل وجبة، ويشرب قليلاً من الخمر الأبيض القوى المخفف بالماء (بحيث يجعل الخمر خفيفاً بالدرجة التى تنعدم معها رائحته).

والحالة الثانية من الالتهاب البلورى الجاف: يميزها الأبقراطيون بوجود حرارة، وسعال، ورعدة، وألم فى الجانب، وأحياناً حول عظم الترقوة، ويبصق المريض صديداً صفراوياً مدمماً، إذا ما خرج باندفاع كبير.

وفى هذه الحالة يُنصح بعمل كمادات فى المناطق من الجسم التى تعانى ألماً قاسياً، وعلى المريض أن يغتسل بماء دافئ، ما لم تكن حرارته مرتفعة جداً، ويتعين ألاّ يغتسل إذا ما كانت درجة حرارته شديدة الارتفاع، وعليه أن يشرب خلاصة قرص الغسل المنقوع فى الماء، بشرط إضافة الماء بالقدر الذى يجعل الخليط ذا طعم مستساغ ويتناول كذلك عصيدة حبوب الدُخن مرتين يومياً، وبعدها الخمر الأبيض المخفف بالماء، فإذا ما استمر على قيد الحياة بعد أربعة عشر يوماً تعافى.

أما الحالة الثالثة من الالتهاب البلورى الجاف: فيعانى المريض فيها من حمى، واصطكاك الأسنان، ومن سعال جاف، ويبصق بصاقاً أصفر ضارباً إلى الخضرة. وأحياناً يكون المريض شاحباً.

وهو يعانى آلاماً فى جنبه، ويميل لون ظهره إلى الحمرة، أما الرأس والصدر فدافئان وأحياناً يشعر بهذا الدفء فى جوفه ورجليه وقدميه ويزداد سعاله بصورة واضحة إذا ما استقر جالساً، وحينها تتقلص أمعاؤه ويكون البراز أصفر مائلاً إلى الخضرة وذو رائحة كريهة. ويموت المريض فى غضون عشرين يوماً. لكن إن تعدى هذه الفترة وهو على قيد الحياة، فإنه يبرأ.

ويجب إعطاء هذا المريض لمدة أربعة عشر يوماً ماءً تم نقع البرغل الخشن فيه، مع إضافة الخمر الأبيض القوى بعد تخفيفه، ثم يشرب ماء الشعير البارد مرتين يومياً، ويجب أن يخفف بعصير الرمان بدلاً من العسل، ويضاف ذلك العصير إلى ماء الشعير ثم يستحم المريض فى قدر قليل من الماء.

وبعد مرور الأربعة عشر يوماً - يتناول فى الفطور حبوب الدُخن، ثم يتناول - بحلول المساء - لحوم الطيور ومرقها وبعض الحبوب[١].

- الالتهاب البلورى المانى (الارتشاح الرئوى):

يقول الأبقراطيون إنه إذا ما أصيبت الرئة بالاستسقاء يعانى المريض من حمى، وسعال ويتسارع تنفسه، وتنتفخ قدماه وتتقوس أظافره.

وللتعرف على مثل هذه الحالة، يضع الطبيب أذنيه على جانب المريض وينصت فترة طويلة، فيسمع صوتاً يشبه صوت غليان الخل.

وبعض المرضى يشكون من انتفاخ المعدة ووعاء الخصيتين والوجه. حتى ليظن بعض من ينظر إليه أن المرض أصاب التجويف بصورة أساسية، لاسيما عندما يرون البطن متضخمة والقدمين منتفختين، إلا أن هذه الأجزاء لا تنتفخ فى حقيقة الأمر إلا إذا فات الطبيب أن يحجم المريض فى الوقت الملائم؛ إذ على الطبيب أن يعالج المريض بتشريط المناطق الموجودة بين ضلوعه قبل تفاقم الحالة، أما إذا لم ينتفخ، فعلى الطبيب أن يغسله بماء وفير ساخن، ويجلسه على كرسى ثابت، ويجعل شخصاً آخر يمسك بذراعيه، ويمسك هو بأكتافه، ويهزه، ويحدد الجانب الذى يصدر عنه الصوت. ويشرط فى المكان الذى يسمع فيه الصوت، ويفضل فى أن يكون التشريط فى أدنى مكان ممكن حتى يضمن انسياب السائل. وبعد هذا يسد الجرح بقطعة سميكة مدببة من خام الكتان، ويسحب السائل بشكل متقطع وبكميات صغيرة[٢].

- الالتهاب البلورى الصديدى:

يذهب الأبقراطيون إلى أنه إذا لم يُطهر هذا الالتهاب البلورى فى غضون أربعة عشر يوماً، فإنه يتحول إلى صديد بلورى[٣]. وعلامته أن يشعر المرضى باختناق[٤].

---

(١) Hippocrates, Disease II. 44-46.

(٢) Hippocrates, Disease II. 61.

(٣) Hippocrates, Aphorisms, V. VIII.

"Ὁκόσοι πλευριτικοὶ γενόμενοι ουκ ἀνακαθαίρονται ἐν τεσσαρεσκαίδεκα ημέρησι, τούτοισιν ἐς ἐμπύημα μεθίσταται ".

(٤) Hippocrates, Aphorisms, V. X.

وساعتها تداهم المريض الحمى والسعال، ويعانى آلاماً فى جانبه، ولا يستطيع الرقود على جانبه السليم، كما لا يرقد على جانبه المتألم، وتنتفخ قدماه وحدقتاه.

وينصح الأبقراطيون فى هذه الحالة بأن يكون العلاج على شاكلتين:

الشاكلة الطبية: ويعتمد الطبيب فيها على المسهلات، ونظام غذائى قائم على الحمية والتجويع، ويكون الطعام مكوناً من مجرد عصيدة خفيفة وخليط من الماء والعسل والخل[1].

أو علاج جراحى: وفيه يغسل الطبيب المريض بكمية وافرة من الماء الساخن، ثم يجلسه على كرسى ثابت، ويجعل شخصاً آخر يمسك بذراعيه، ويمسك هو بكتفى المريض، حتى يسمع صوتاً، ثم يحدث شقوقاً فى الجانب الأيسر - لأنه أقل خطراً - وإن لم يسمع صوتاً على الإطلاق؛ لكثافة الصديد وغزارته فعلى الطبيب أن يحدد الجانب المنتفخ، ويؤلم المريض ويحدث الطبيب شقوقاً فى أدنى مكان ممكن إلى هذا الجانب - خلف الانتفاخ لا أمامه - إذ سيسمح المخرج الذى سيحدثه الطبيب بانسياب الصديد إلى الخارج. وعليه أن يقوم أولاً بعمل شق فى الجلد فى منطقة ما بين الضلوع، مستخدماً مبضعاً سميكاً ثم يغطى المبضع بقطعة من القماش، ويُدخل قمته فى جسد المريض بمقدار ظفر إبهامه، وعندما يزيل القدر الذى يراه ملائماً من الصديد يسد الجرح بسدادة غليظة من الكتان الجاف، ويوثقه بحبل. وعليه أن يستخرج الصديد مرة يومياً، وفى اليوم العاشر يسحب كل ما تبقى من الصديد ويسد الجرح بالكتان ويحقن خمراً دافئة وزيتاً باستخدام أنبوب(*). حتى لا تجف الرئة فجأة، بعد أن اعتادت على غمر الصديد لها، وعند المساء يفرغ ما حقنه فى الصباح، ويفرغ ما حقنه فى المساء عند الصباح.

وعندما يصبح الصديد خفيفاً مثل الماء ولزجاً وقليلاً على الطبيب أن يُدْخِل فى جسم المريض أنبوب تصريف مجوف من القصدير. وعندما يكتمل تجفيف التجويف يقطع الأنبوب شيئاً فشيئاً، ويدع مكان الجرح يلتئم قبل أن يزيل الأنبوب. وهناك علامة توضح ما إذا كان المريض سينجو أم لا: فإذا كان الصديد أبيض نقياً به خطوط دموية فإن المريض سيتعافى بشكل عام، أما إذا انساب الصديد فى اليوم الأول أصفر، أو كان سميكاً فى اليوم التالى ولونه يميل أصفر ضارباً إلى الخضرة وله رائحة كريهة، فإن المريض يموت[2].

وفى موضع آخر يقول الأطباء الأبقراطيون إن حالة الصديد البلورى إذا ما عولجت بالمبضع أو الكى، إذا انساب الصديد نقى أبيض نقياً، فسوف يتعافى المريض، أما إذا كان ذا رائحة كريهة فإن المريض سيموت[3].

---

(١) Hippocrates, Regimen in Acute disease, II. 57.

(*) Guido Maino, The Healing Hand Man and Wound in the Ancient World, Cambridge, 1975, p. 157.

(٢) Hippocrates, Disease, II. 47.

(٣) Hippocrates, Aphorisms, VII. XLIV.

للالتهاب البلورى إذن أنواعه ودرجاته، ولكل منها الأعراض المميزة لها، والتى على أساسها أقام الأبقراطيون علاجهم. والحالات التى لم يستطع الأبقراطيون علاجها تنتهى بالمريض إلى السُّل، وتعد إشارة إلى بؤرة درنية فى رئة المريض.

وعلى هذا يُعَد الالتهاب البلورى بدرجاته وأنواعه أهم أسباب السُّل الرئوى لدى الأطباء الأبقراطيين.

II أعراض السُّل الرئوى:

عَرَف الأبقراطيون درجتين من السُّل الرئوى، لكل منهما أعراضها، التى تحدد درجة الخطورة، وتُمكن من التكهن بمساره فى الجسم، على النحو الآتى:

النموذج الأول من السُّل الرئوى:

وفيه يبصق المريض بصاقاً سميكاً، حلو الطعم أصفر يميل إلى الخضرة، كما يعانى من اصطكاك أسنانه، ويشكو ألماً فى صدره وظهره ويخرج من حلقه صفير هادئ فى بادئ الأمر ثم يصبح خشناً، ويتحول لون المنطقة الموجودة أسفل العينين إلى اللون الأحمر، ويصبح الصوت أجش، ويعانى المريض من انتفاخ القدمين وتقوس أظافره(*)، ويصبح المريض شديد النحافة منهكاً، ويكون الإنهاك شديداً فى الأجزاء العليا من الجسم. كما يتقزز المريض من بصاقه؛ إذا ما بقى فى فمه بعد خروجه من صدره، وهو يسعل بصورة أكبر فى الصباح الباكر وفى منتصف الليل، إلا أنه يسعل فى أوقات أخرى أيضاً. ويصيب هذا النموذج من المرض السيدات الصغيرات أكثر مما يصيب كبيرات السن. فإذا ما تساقط شعر المريض عن رأسه(١) - ويصل سقوط الشعر هنا إلى مرحلة الصلع بسبب المرض(٢) - وإذا كان بصاق المريض نفاذ الرائحة إذا ما وضع على الفحم، فتلك علامة على أنه قاب قوسين أو أدنى من الموت، وأن الإسهال سيقضى عليه؛ إذ يكون الصديد فى هذه الحالة عند فم المعدة متعفناً؛ فإذا ما ألقى على فحم صدرت عنه رائحة تشبه رائحة الدهن المحترق، فلا علاج ناجح(٣).

(*) مما هو جدير بالذكر أن تقوس الأظافر لازال أحد العلامات المهمة فى التشخيص فى الطب المعاصر.

(١) Hippocrates, Aphorisms, V. II.

(٢) Hippocrates, Aphorisms, V. XII.

"Οκόσοισι φθισιωσιν αι τρίχες ἀπὸ της κεφαλης ρέουσιν, Οὗτοι, διαρροιης ἐπιγενομένης , ἀποθνησκουσιν ".

يُصاب الأشخاص الذين يعانون من مرض السُّل، الذين سقط شعر رأسهم بإسهال ثم يموتون.

(٣) Hippocrates, Disease, II. 48.

وفيما يخص التوصية بعدم العلاج تحت هذه الظروف انظر أيضاً:

- Hippocrates, Aphorisms, IV. 38.
- Hippocrates, Internal affections 10.

Cf. James Longrigg, Greek Medicine from the Heroic to the Hellenistic Age, New York, p. 102, 139;

النموذج الثانى من السُل الرئوى:

وهو الذى يعانى المريض فيه من سعال ويكون البصاق غزيراً، وأحياناً يبصق المريض صديداً دون معاناة أو صعوبة، ويشبه الصديد هنا حبات القمح الصلبة كريهة الرائحة إذا ما فركت، ويكون صوت المريض هنا واضحاً، ولا يكابد أى ألم، كما لا يشكو من أى حمى على الرغم من وجود حرارة الحمى، ويكون المريض على درجة من الضعف.

ويستمر هذا المرض لمدة تتراوح بين سبعة أعوام وتسعة، وإذا ما عولج مبكراً تعافى. أما إذا ما تقرحت القصبة الهوائية، فإن المريض يصاب بحمى شديدة، وألم فى وسط صدره، وحكة فى جسمه، ويصبح صوته أجش، ويكون بصاقه رقيقاً يشبه ماء الشعير، وقد يكون سميكاً. وتنبعث رائحة نفاذة من فم المريض تشبه رائحة السمك النئ، وتظهر فى بصاقه من آن لآخر فى بصاقه أجزاء صلبة تشبه الزوائد اللحمية للقرح.

وتضمر الأجزاء العليا من جسم المريض، ويشعر بإنهاك شديد. وتحمر وجنتاه، وتتقوس أظافره وبعد فترة تصبح جافة صفراء، يميل لونها إلى الخضرة. ويموت المريض فى الحال، إلا إذا عولج سريعاً، وهو يبصق دماً وصديداً ثم تجتاحه حمى شديدة الوطأة تقضى على حياته. فإذا ما عولجت الحمى يبرأ من السُل[1].

III الوصف الأبقراطى لباثولوجيا السُل الرئوى: "Φύμα"

نشهد قمة البراعة والريادة عندما نقرأ الوصف الأبقراطى للتجويفات الدرنية فى الرئة؛ إذ صاغ الأبقراطيون مصطلحاً لهذا غير الذى استخدموه للتعبير عن السُل أو الدرن وبلغوا من الدقة العلمية أن يفرقوا بين أعراض المرض وباثولوجيا المرض، فاستخدموا مصطلح "Φύμα" التى تعبر عن الشكل الباثولوجى للسُل فى الرئة.

وقال الأبقراطيون إن أولئك الذين يعانون من تحدب ظهورهم - ويكون التحدب فوق الحاجز الحاجز - يعانون أيضاً من تحدب وضيق فى منطقة الصدر، ويؤدى بهم هذا التشوه إلى تقلص الحنجرة، ومن ثم يصبح التنفس صعباً، وهم - لذلك - أكثر قابلية لتكون تدرنات "متصلبة" "Φύατα" فى رئاتهم[2].

وقد أشاروا أيضاً إلى تكون التدرنات فى الرئة قائلين: بينما يتجمع البلغم والصفراء ويصدران نقيحاً، وتؤدى هذه التجمعات إلى ألم خفيف وسعال جاف طالما كانت نيئة، فإذا ما نضجت تمام النضج ظهر ألم حاد مصحوب بحمى شديدة وبسعال عنيف، ثم يتسارع نضج التدرنات فتحتوى على خراريج، وعندما تنفجر هذه الخراريج، وتفرغ كل ما بداخلها، ويسقط التجويف الذى كان يحتويها ويجف، فإن المريض يتعافى

---

(١) Hippocrates, Disease, II. 49-50. Cf. Groshan Fabiola, The History of Treating Tuberculosis, 2007, p. 106.

(٢) Hippocrates, on Joints, 41. XLI.

تماماً، فإذا ما انفجرت هذه التدرنات بسرعة ونضجت ولم يجف التجويف تمام الجفاف فإن التدرنات تضاعف عدد الخراريج بشكل تلقائى، وتصبح حالة المريض حرجة[١].

لقد كانت معرفة الأبقراطيين بباثولوجيا مرض السل معرفة عميقة دقيقة، كما أنها كانت مبكرة للغاية.

وقد ارتبط هذا التفسير بالهيئة التشريحية؛ فهناك تجويف يتكون فى الرئة بسبب ارتخاء مركز صلب، وهو ما أطلق عليه الأبقراطيون "Φύμα phyma"، ويختلف هذا "البروز" phyma عن الخراج العادى، فهو متباطئ النمو. وجفاف التجويف وسقوطه يعنى الشفاء التلقائى، ويستمر التهاب القناة التنفسية المصحوب بإفرازات غزيرة، ويصحب ذلك أن تنفث الرئة الدم، ويكون البصاق متقيحاً ويعانى المريض من ارتفاع شديد فى درجة الحرارة، وإسهال ينتهى بالوفاة[٢].

ويبدو لى أن من الصعب التوصل لمعرفة هذه التغيرات المرضية من مجرد تشريح الحيوانات، أعنى أنه لابد من عمليات تشريح لبعض حالات التدرن البقرى بعد الوفاة أفضت إلى هذه المعرفة الدقيقة.

وتشير مجموعة المؤلفات الأبقراطية إلى ظاهرة مرضية أخرى، لوحظت فى الحيوانات والبشر على السواء، تتمثل فى وجود أكياس فى رئات ثيران وكلاب وخنازير خضعت لتشريح منهجى.

ففى أحد المؤلفات الأبقراطية يتحدث المؤلف عن تشريح هذه الـ "Φύμα"، وتفريغ سائلها الذى يشبه الماء. وهو يشير أيضاً إلى الرأى القائل بأن هذه الأكياس تحدث فى الإنسان أكثر مما تحدث فى حيوانات المزرعة، ويرجع ذلك إلى الغذاء غير الصحى للإنسان[٣].

لكن يمكننا أن نقول إن هذا الرأى من قبيل التخمين؛ لأنه لم يكن مرتكزاً على تشريح دقيق لجثة بشرية[٤].

---

(١) Hippocrates, Disease, I. 19.

(٢) Cf. Thomas Dormandy, The White Death: A History of Tuberculosis, 1999, p. 82.

Pagel, F. A. H. Simmons, Pulmonary Tuberculosis, 4th edn., Cambridge, 1997,p.3.

(٣) Hippocrates, on Internal affections, 24.

(٤) C. R. S. Harris, The Heart and Vascular System in ancient Greek Medicine from Alcmaeon to Galen, Oxford, 2001, p. 100.

IV علاج السُل الرئوى:

كان علاج الأبقراطيين للمرض يختلف، حسب الدرجة والصورة التى وصل عليها المريض إلى العيادة الأبقراطية.

ففى النموذج الأول من السُل الرئوى:

إذا عُرض المريض فى بداية مهاجمة المرض له، فعلى الطبيب أن يعطيه مستخلص العدس بعد غليه ليشربه، ثم يعطى مهلة قوامها يوم، وبعدها يعطى الخربق المخفف بالماء ليحول دون الإسهال. فإذا كان المريض يعانى فى أثناء الليل من انسياب سائل ملحى إلى فمه، فعلى الطبيب أن يصف له أدوية يستنشقها عدة مرات، فإن لم تكن هناك مثل تلك الإفرازات يعطيه الطبيب الأدوية نفسها، لكن لفترة أطول، ويتناول المريض مرة واحدة شهرياً مشروب الخربق بعد مزجه بخمر حلو مخفف بالماء، ثم يعطيه الطبيب مستخلص العدس ليشربه، فإن لم تتفاقم الحمى، فذلك حسن، أما إذا اجتاحته الحمى، فعلى الطبيب أن يعطيه جذور الخربق الأبيض فى العسل، وإذا ما حدث مغص فى التجويف الأسفل يعطيه حقنة شرجية تحتوى على التوت، فإن لم يستجب لهذا العلاج فعلى الطبيب أن يفرغ التجويف بلبن الحمير المغلى. فإذا شرب المريض الخربق قبل مستخلص العدس وتقيأ الصفراء، فعلى الطبيب منذ ذلك الحين فصاعداً إستخدام مستخلص العدس كمقئ؛ فإذا عانى المريض من حمى شديدة فعليه أن يأكل لحم الضأن المسلوق ولحوم الطيور، والقرع والبنجر المسلوقين، ولا يدعه الطبيب يشرب المرق، أما فيما يتعلق بالأسماك فليأكل عقرب البحر، فإذا كانت الحمى شديدة، فعليه ألا يأكل أى شئ ساخن، ولا يستحم، ولا يتناول أطعمة حريفة وعليه أن يشرب الخمر الأبيض.

أما إذا لم يكن المريض يشكو من حمى حقيقية، ولم يكن هناك سوى حرارة الحمى، فعليه أن يأكل أفضل أنواع الأسماك المغذية، وكميات كبيرة من الأطعمة الحلوة والمالحة المغذية، ويستحم فى ماء دافئ باستثناء رأسه[1].

أما النموذج الثانى من السُل الرئوى:

فعلاجه يكون بشرب الخربق مع خلاصة العدس المغلى والتغذية الجيدة، مع تجنب الأطعمة الحريفة ولحوم البقر والخنزير والضأن، إلى جانب ممارسة بعض التمرينات ورياضة المشى، وأن يتقيأ بعد تناول الوجبات، ويمتنع عن الجماع[2].

ب- سُل العمود الفقرى: "Νωτιὰς φθίσις"

وأرجع الأبقراطيون سُل العمود الفقرى إلى النخاع(*).

---

(١) Hippocrates, Disease, II. 48.

(٢) Hippocrates, Disease, II. 49.

(*) وهذا يتفق مع النظرية الحديثة؛ لأن الميكروب المسبب للدرن. ينتقل عن طريق الدم لذلك فإن أول جزء يصاب به من العظام عموماً هو النخاع.

I أعراضـــه:

لاحظ الأبقراطيون أن هذا المرض شديد الانتشار بين حديثى الزواج والمفرطين بالجماع، ولا يعانى هؤلاء من حمى، وهم يأكلون جيداً إلا أنهم يعانون - على الرغم من ذلك - من ذبول أجسادهم، ويصف المريض أوجاعه فيقول إنه يشعر - كما لو كان نملاً - يزحف فوق عموده الفقرى، فإذا ما تبول أو تغوط فإن قدراً كبيراً من المنى يخرج منه عندها، وهو لا ينجب، كما أنه يعانى من خروج المنى منه ليلاً سواء ضاجع امرأة أم لم يضاجعها.

وعندما يمشى أو يجرى - لاسيما صاعداً منحدراً - فإنه يلهث ويعتريه الوهن بسرعة، وهو يشعر بثقل فى رأسه وصفير فى أذنيه، وبمرور الوقت تداهمه الحمى، ويهلك بسبب نوع من أنواع الحمى المتقطعة[1].

II علاجـــه:

وينصح الأبقراطيون فى هذه الحالة بأن يشرع الطبيب فى علاج المرض منذ البداية بحمام بخار عام، وأن يسقى المريض دواءً يؤثر على أعلى جسمه ثم يتناول المريض بعد ذلك دواءً يؤثر على أسفل جسمه، ومن الأفضل أخذ مثل هذا الدواء فى تلك الحالة فى فصل الربيع.

وبعد عمليات الإفراغ يسقيه لبن الحمير ثم لبن البقر أربعين يوماً. وفى الفترة التى يتناول فيها المريض اللبن يجب أن يمتنع عن سائر الطعام، فإذا ما توقف عن شرب اللبن، عاد إلى الأطعمة الخفيفة، ويبدأ بكميات صغيرة، وعلى المريض أيضاً الامتناع لمدة عام عن الخمور والجماع وعن كل جهد شديد، باستثناء المشئ، وعليه فى هذه الفترة أن يتجنب البرد والشمس، وعليه أن يستحم بماء دافئ[2].

---

(١) Hippocrates, Disease, II. 51.

Cf. E. Muirhead Little, The History of The Recognition of Tuberculosis as a Factor in Bone and Joint Surgery, Proceedings of the Royal Society of Medicine, V. XXV. No. 3, 1983, p. 627.

(٢) Hippocrates, Disease, II. 51.

ثالثاً: المصطلحات العلمية الخاصة بالسُل بين القاموس الأبقراطي والقاموس المعاصر:

المصطلح كما ورد فى المجموعة الأبقراطية	مدلوله الأبقراطى	ما يقابله لفظاً ومدلولاً فى القاموس المعاصر
πλευριτις	الالتهاب البلورى	Pleurisy التهاب بلورى
εμ-πυος	صديد (مصدر للصديد)	Empyema صديد بلورى
Φθίσις	استهلاك (سُل)	Phthisis درن (سُل)

وجدير بالذكر أن للفظتين (اليونانية والإنجليزية) النطق نفسه والمعنى نفسه أيضاً؛ فالاستهلاك صفة أطلقت - ولازالت تُطلق - على مرض الدرن لأن من أهم علاماته استهلاك الجسم. لفقدانه الوزن بشدة مع هذا المرض.

φυμα	نمو أو ورم (درنى) وقد استخدم أبقراط هذا المصطلح عند وصفه لباثولوجيا المرض.	phyma درنة أو ورم جلدى

خلاصة القول:

يعد أبقراط أول من بحث فى مرض الدرن: أعراضه، وعلاجه، والتكهن بمساره، وكونوا قاعدة مناسبة لما استقرت عليه الأمور اليوم فى هذا المجال.